وصفُ حالِ المشركين في سورةِ الأنعامِ المباركة

م.م. كرار جبار حسوني
مديرية تربية محافظة واسط
م.م. مشرق صباح كاظم
جامعة الامام الصادق عليه السلام / فرع ذي قار

Description of the condition of the polytheists in the blessed Surah Al-An'am

Asst.Dr. Karar Jabbar Hassouni
Wasit Governorate Education Directorate
Asst.Dr. mashraq sabah Kazem
Imam Al-Sadiq University / Dhi Qar Branch
Email: alwoduy@gmail.com

مُلخّص البحث

خلق الله (سبحانه وتعالى) هذا الكون الهائل الممتدّ ما بين السّماوات والأرض ، وموجوداتها بنظام دقيق متوازن لا يصيبه الباطل والانحراف من بين يديه ولا من خلفه، داعيًا الإنسان، لاسيّما المشركين منهم إلى النّظر فيه والتّدقيق في آياته، فاستعمل بذلك الخطاب اللّطيف واللّين، ودعا إلى إعمال العقل، والبصر، والبصيرة، وجادلهم وحاججهم في سبيل ردعهم عن كفرهم وشركهم من أجل خاتمة سعيدة بعيدًا عن النّار وأهوال يوم القيامة، وسورة الأنعام و هي مدار البحث، واحدة من السّور القرآنيّة التي اتخذت من ذلك كلّها موضوعًا لها، و فيها أفاض الله من نعمه، ما ظهر منها وما بطن سالكًا فيها كل الطرائق والأدلة من أجل دفع المشركين للإيمان، فوصف أحوالهم وما يلاقوه يوم القيامة من أهوال وأصناف العذاب، داعيًا إيّاهم وبكلّ الوسائل والسُّبل إلى نبذ العناد والإصرار على الكفر ، والتوجه الى عبادة الواحد الأحد الذي أفاضت نعمته على كلّ شيء، وأحاطت بكلّ شيء إكراما للإنسان وآدميته، وصولًا به إلى أعلى مراتب الآخرة في جنّة الله العالية.

الكلمات المفتاحية: المشركين ،الانعام ، الإيمان ، نعم الله.

Abstract

God Almighty created this vast universe that extends between the heavens and the earth and their assets in a precise and balanced system that is not afflicted by falsehood or deviation from his hands or behind him calling on man especially the idolaters among them to look into it and scrutinize its verses. And sight and insight and argue with them and argue with them in order to deter them from their disbelief and associate them for a happy ending away from the fire and the horrors of the Day of Resurrection and Surat Al-An'am which was the focus of the research.

One of the surahs of the Qur'an that was taken from all of these and laid out for it in which God poured out His blessings what is apparent from them and what is hidden using all the ways and evidences in order to push the polytheists to faith describing their conditions and what they will face on the Day of Resurrection of horrors and types of torment calling on them by all means and means To renounce stubbornness and insistence on disbelief and turn to the worship of the One the One whose grace overflows with everything and surrounds everything for the sake of man and his humanity leading him to the highest levels of the hereafter in God's lofty heaven.

Keywords: polytheists, cattle, polytheists, God's blessings.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين وبعد:

إنّ التدبر والتفكر في نعم الله تعالى على الإنسان دليل الهداية ومفتاح الإيمان والبصيرة، ومن يعرض عن ذلك وتأخذه العزة بالإثم فله جهنم خالدًا فيها، وتعدّ سورة الأنعام واحدة من سور القران الكريم التي أفاض بها الله تعالى بنعمه على الناس جميعًا داعيًا الإنسان بصورة عامة، والمشركين بصورة خاصة إلى إحكام العقل والفطرة الإنسانية ايمانًا بالخالق العظيم، بأساليب مختلفة في الحوار والخطاب على لسان نبيه الكريمﷺ، من الحكمة والوعظ والترغيب والترهيب الى أساليب الدعوة بالنظر في آيات خلقه ثم المجادلة والمحاججة لإثبات التوحيد، وما بين هذه الأساليب يصف سبحانه وتعالى المشركين ويظهر أحوالهم وصفاتهم وحججهم البائسة أمام عظمة أدلة الخالق، وهذا تحديدًا كان الهدف من اختيار هذه السورة الكريمة تحصيلًا للإثابة ورضا الله تعالى، ودعوة بصيرة وتدبر للقارئ في دلائل الله تعالى وآياته في السماء والأرض.

ومن الله التوفيق.

تمهيد

سورة الأنعام

اتخذ البحث من وصف حال المشركين في سورة الأنعام سبيلًا له، وبيان الخطاب والأسلوب القرآني في مواجهتهم، وردّ أدلتهم ثمّ دعوتهم إلى الإيمان والتوحيد عبر أسلوبي الحوار والخطاب، وأسلوب الدّعوة للتّدبر في آيات الكون والمجادلة والمحاججة، وقد اقتضت خطّة البحث أن يكون على ثلاثة مباحث، وهي:

المبحث الأوّل

ويشتمل على التعريف بسورة الأنعام، ثمّ سبب اختيار السّورة لهذه الدراسة، وسبب تسميتها وسبب نزولها، فضلًا عن البحث في موضوعات السّورة.

المبحث الثاني:

ويشتمل على أساليب الرسولﷺ في حواره مع المشركين في سورة الأنعام ، وقُسّم المبحث على الآتي:

١- في معنى الأسلوب لغةً واصطلاحًا.

٢- أسلوب الحكمة والموعظة الحسنة.

٣- أسلوب الترغيب والترهيب.

المبحث الثالث:

ويشتمل أسلوب الدّعوة عن طريق النظر والتأمل في الآيات، وقُسّم المبحث على النقاط الآتية:

١- أسلوب المجادلة

٢- أسلوب التدرج

٣- أسلوب المحاجة العقلية لإثبات التوحيد.

المبحث الأول

التعريف بسورة الأنعام

١- التعريف بسورة الأنعام وأسباب اختيارها :

النُّعْمُ: طيب العيش واتساعه، والنَّعَمُ: المال السائم وأكثر ما يقع هذا الاسم على الإبل، والنَّعْماءُ: الخفضُ والدعةُ والجمع: أَنْعُمُ، والنعمةُ: الرفاهةُ وطيب العيش، والنِّعْمَةُ: ما أنعمَ به من رزق ومال وغيره، وهو أيضًا: الحالُ الحَسنةُ، والأنعام: الماشية التي تأكل

العلف وتتغذى عليه او التي ترسل للرعي ولا تعلف، والماشية التي المستفاد من ركوبها ولحومهاوألبانها، قال تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لله مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا [١]﴾[٢].

والأنعام سورة من سور القرآن الكريم أنزلت بمكة ليلًا جملة، حولها سبعون ألفًا من الملائكة يجأرون حولها بالتسبيح، نزلت على النبي محمد ﷺ جملة واحدة وهو في مسير في زَجَلٍ من الملائكة، وقد نظموا ما بين السماء والأرض، وشيعها سبعون ألفًا من الملائكة لهم زجلٌ بالتسبيح والتحميد[٣].

وقيل: ((الأنعام كلها مكية إلا آيتين نزلتا بالمدينة فخاطب اليهودي، وهي: قل من انزل الكتاب الذي جاء به موسى مع ما يرتبط بهذه الآية، وذلك أن قال: (ما انزل الله على بشر من شيء))[٤].

وقيل: ((هي مائة وخمس وستون آية مكية، وقيل: إلا ثلاث آيات))[٥]، وقيل: هي مكية إلا ((وما قدّروا الله)) الآيات الثلاث، و((قل تعالوا)) الثلاث[٦].

٢- التسمية والمناسبة:

سُمّيت السورة بالأنعام لما ورد فيها من تفصيل أحوالها، والتفصيل الوارد في لفظ الأنعام أكثر من غيرها من باقي السور، والذي يغلب على الظن أنّ نزول سورة الأنعام كان في السَّنة الرابعة من البعثة النبويّة الشريّفة، وذلك؛ لأنّ سورة الحجر التي نزلت قبلها فيها آية تأمر النّبي ﷺ بأن يجهر بدعوته، وهي قوله تعالى: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ [٧] [٨].

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٣٦.
(٢) ينظر: المعجم الوسيط: مادة(نَعِمَ).
(٣) ينظر: تفسير القرآن العظيم، الحافظ أبو الفداء ابن كثير القرشي الدمشقي، ٦٧٥.
(٤) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تفسير ابن عطية الأندلسي، ٧/ ٣٠٨.
(٥) ينظر: ايات العقيدة في سورة الانعام، دراسة بلاغية تحليلية، مريم بنت سليمان العبيد، ١٤-١٥.
(٦)سورة الانعام، الآية: ٧.
(٧) ينظر: تفسير القرآن الكريم، العلامة المحقق السيد عبد الله شبر، ١٧٧.
(٨) ينظر: الاستيعاب في بيان الاسباب، سليم بن عيد الهلالي، ١٣١، ٢.

وتعدّدت أسباب النّزول لبعض آيات هذه السّورة الكريمة المباركة وكما يأتي:

١- قوله تعالى: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ﴾ [١]، ففي سبب نزولها أنّ مشركي مكة قالوا: يا محمد، والله لا نؤمن لك حتى تأتينا بكتاب من عند الله ، ومعه أربعة من الملائكة يشهدون أنّه من عند الله وإنّك رسوله، فنزلت هذه الآية.

٢- قوله تعالى: ﴿وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ [٢]، ففي سبب نزولها أنّ كفار مكة أتوا الرسولﷺ فقالوا: يا محمد، إنّا قد علمنا أنّه إنّما يحملك على ما تدعونا إليه الحاجة، فنحن نجعل لك نصيبًا في أموالنا حتى تكون أغنانا رجلًا ، وترجع عمّا أنت عليه، فنزلت هذه الآية.

٣- قوله تعالى: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً﴾ [٣]، وفي سبب نزولها إنّ رؤساء مكة قالوا: يا محمد، ما نرى أحدًا يصدّقك بما تقول من أمر الرّسالة، ولقد سألنا عنك اليهود والنّصارى فزعموا أنّ ليس لك عندهم ذكر ولا صفة، فأرنا من يشهد لك إنّك رسول كما تزعم، فأنزلَ الله تعالى هذه الآية.

٤- قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ﴾ [٤]، وفيها أنّ مجموعة من المشركين ومنهم أبو سفيان ابن حرب، استمعوا إلى الرسولﷺ فقالوا لأحدهم وهو النّضر بن الحارث: يا أبا قُتيلة ما يقول محمد؟ قال: والذي جعلها بيته ما أدري ما يقول، وما يقول إلا أساطير الأولين، فأنزل الله هذه الآية.

٥- قوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ﴾ [٥]، نزلت في رؤوس الشرك (أبي جهل، وأبي سفيان ، والوليد بن عتبة ، وغيرهم) الذين وقفوا سدّا أمام الناس ينهون عن اتباع الحق ، وينأون بأنفسهم عنه .

(١) سورة الحجر ، الآية : ٩٤.
(٢) سورة الأنعام ، الآية : ١٣.
(٣) ينظر: اسباب نزول القرآن، العلامة علي بن أحمد الواحدي ، ١ / ٧٦.
(٤) سورة الأنعام ، الآية : ٢٥.
(٥)سورة الأنعام ، الآية : ٢٦.

٦- قوله تعالى: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ﴾ (١)، وفيها قال أبو جهل لبعض المشركين: والله إنّ محمدًا لصادق، وما كذب محمد قط، ولكن إذا ذهب بنو قصيّ باللّواء، والسقاية والحجابة، والندوة، والنبوة فماذا يكون لسائر قريش؟ فانزل الله تعالى هذه الآية.

٧- قوله تعالى: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ (٢)، نزلت هذه الآية في (ابن مسعود، وصهيب، وعمّار، والمقداد، وبلال) قالت قريش: إنّا لا نرضى أن نكون أتباعًا لهؤلاء فاطردهم، فنزلت هذه الآية.

٨- قوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾ (٣)، ونزلت في الذين نهى الله تعالى نبيه ﷺ عن طردهم، فكان إذا رآهم النبي ﷺ بدأهم بالسلام وقال: الحمد لله الذي جعل في أمتي من أمرني أن أبدأهم بالسلام.

٩- قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي﴾ (٤)، ونزلت في النضر بن الحارث ورؤساء قريش، كانوا يقولون: يا محمد آتنا بالعذاب الذي تعدنا به استهزاءً منهم، فنزلت هذه الآية.

١٠- قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ﴾ (٥)، ونزلت في مسيلمة الكذاب الحنفي، كان يسجع ويتكهن ويدعي النبوة ويزعم أن الله أوحى إليه.

١١- قوله تعالى: ﴿وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللهُ﴾ (٦)، ونزلت في عبد الله بن سعد بن سَرح، قال: سأنزل مثل ما انزل الله وارتد عن الإسلام، فلما دخل الرسول ﷺ مكة فرّ منها واستأمنه عثمان بعد ذلك.

١٢- قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ﴾ (٧)، ونزلت هذه الآية في الزنادقة، قالوا: إنّ الله تعالى وإبليس أخوان، والله خالق الناس والدواب، وإبليس خالق الحيات والسباع

(١) سورة الأنعام، الآية: ٣٣.
(٢) سورة الأنعام، الآية: ٥٢.
(٣) ينظر: اسباب نزول القرآن، العلامة علي بن أحمد الواحدي، ١ / ٧٧.
(٤) سورة الأنعام، الآية: ٥٧.
(٥) سورة الأنعام، الآية: ٩٣.
(٦) سورة الأنعام، الآية: ٩٣.
(٧) سورة الأنعام، الآية: ١٠٠

والعقارب، فنزلت هذه الآية.

١٣- قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ فَيَسُبُّوا اللهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾[١]،إذ كان المسلمون يسبون أوثان الكفار فيردون ذلك عليهم، فنهاهم الله تعالى أن يستسبوا لربهم قومًا جهلةً لا علم لهم..

١٤- قوله تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا﴾[٢]، وسبب نزولها أنّ بعضًا قالوا: يا محمد، إنّك تخبرنا أنّ موسى عليه السلام كانت معه عصا ضرب بها الحجر فانفجرت منها اثنتا عشرة عينًا، وأنّ عيسى عليه السلام كان يحيي الموتى، وأنّ ثمود كانت لهم ناقة، فآتنا ببعض تلك الآيات حتى نصدّقك، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: أيُّ شيء تحبون أن آتيكم به؟ فقالوا: تجعل لنا الصَّفا ذهبًا، قال صلى الله عليه وآله وسلم: فإن فعلت تصدقوني؟ قالوا: نعم، والله لئن فعلت لنتبعك أجمعين، فقام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يدعو، فجاءه جبريل عليه السلام وقال: إن شئتَ أصبح الصَّفا ذهبًا، ولكنّي لم أرسل آية فلم يصدق بها إلّا أنزلت العذاب، وإن شئت تركتهم حتى يتوب تائبهم، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: اتركهم حتى يتوب تائبهم، فنزلت هذه الآية[٣].

٣- موضوعات السورة:

وفي سورة الأنعام احتجاج على مشركي العرب، على من كذّب بالبعث والنشور، وأنّ موضوعها الذي تعالجه من مبدئها إلى منتهاها هو موضوع العقيدة بكل مقوماتها وبكل مكوناتها، فإنّها تطوف بالنّفس البشريّة في ملكوت السّماوات والأرض، تلحظ فيها الظّلمات والنّور، وترقب الشمّس والقمر والنجّوم، وتسرح في الجنّات المعروشات وغير المعروشات، والمياه الهاطلة عليها والمياه الجارية فيها، وتقف على مصارع الأمم الخالية، وآثارها البائدة والباقية، ثم تسبح بها في ظلمات البر والبحر، وأسرار الغيب والنفس، والحي يخرج من الميت، والميت يخرج من الحي، والجنة المستكنة في ظلمات الأرض، والنطفة

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٠٨.
(٢) سورة الأنعام، الآ: ١٠٩.
(٣) ينظر فيما ورد من اسباب النزول هذه في كتاب اسباب نزول القرآن، لأبي الحسن علي بن احمد الواحدي، ٢/ ١٧١.

المستكنّة في ظلمات الرحم، ثم تموج بالجن والأنس، والطير والوحش، والأولين والآخرين، والموتى والأحياء، إنّه الحشد الكوني الذي يزحم أقطار الأرض[١].

وفي فضل هذه السورة، قال الإمام علي عليه السلام[٢]: ((من قرأ سورة الأنعام فقد انتهى في رضا ربه))، ونقلًا عن ابن عباس، قال[٣]: (من قرأ سورة الأنعام في كل ليلة كان من الآمنين يوم القيامة ولم يرَ النار بعينه أبدًا)).

المبحث الثاني

أساليب الرسول صلى الله عليه وآله في حواره مع المشركين في سورة الأنعام:

قبل التطرق إلى أساليب الرسول صلى الله عليه وآله في حواره مع المشركين في سورة الأنعام لابد أنّ نُعرّف الأسلوب لغة واصطلاحًا.

١- الأسلوب لغةً واصطلاحاً:

الأسلوب لغةً: فهو ((السّطر من النّخيل، وكلّ طريق ممتدّ فهو الأسلوب، والأسلوب الطّريق، والوجه والمذهب، ويجمع أساليب، والأسلوب: الفن، يقال: أخذ فلان في أساليب من القول، أي أفانين منه))[٤].

أمّا في الاصطلاح فيُعرف الأسلوب بأنّه: ((طريقة اختيار الألفاظ وتأليفها للتعبير بها عن المعاني قصد الإيضاح والتأثير، أو هو العبارات اللّفظيّة المنسّقة لأداء المعاني، فأسلوب القرآن هو طريقته التّي انفرد بها في تأليف كلامه واختيار ألفاظه))[٥].

وإنّ أهم عنصر من عناصر الأسلوب من منظور القرآن الكريم يقع في الفطرة ﴿فِطْرَةَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾[٦]، فهي المستودع الفخم الذي يضُّم القوى والقدرات التي

(١) ينظر: جامع البيان عن تاويل القرآن، الطبري، ٣ / ٢١٧.
(٢) بحار الانوار، العلامة المجلسي، ٢ / ٨٤.
(٣) التفسير المعين للواعظين والمتعظين، محمد هويدي، ١٢٨.
(٤) لسان العرب، ابن منظور ٣ / ٣٤. مادة(سلب)
(٥) مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني، ١ / ١٤٠٨.
(٦) سورة الروم، الآية: ٣٠

أودعها الله في الإنسان ، وهي الأساس لتصوّر الإيمان والتوّحيـد ، وأساس المنهج الإيماني للتفكير، فالإيمان والتوحيد أول طاقة أودعها الله فطرة الإنسان، ويأتي من بعد ذلك عنصر النيّة، فهي قصد التّوجه القلبي إلى الله سبحانه وتعالى مع توافـــــر العزم والتصّميم ، والرّؤية الواضحة للدّرب والهدف ، وتثبيت الرّؤية الواضحة للدّرب والهدف، فالنّية في الإسلام هي الأساس الذي يجب أن يقوم عليه العمل حتّى يقبل عند الله، فضلًا عن عناصر العقل والتفكير، فهما طاقة القلب واللّب : ((لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ))[1].

فالعقل والتّفكير عنصران مهّمان من عناصر الأسلوب في القرآن الكريم ، وثمرته التّفكير والتّأمل والتدبر، لاسيّما إذا ائتلفا مع عاطفة الإنسان وشعوره ، وعملت هذه مع سائر العناصر الأخرى في كيان الإنسان لتحدث التوّازن في الأسلوب الأدبي عندما تجتمع العاطفة مع العقل[2]، وعلى هذه العناصر الأسلوبية ارتكز الخطاب القرآني في مناقشة المشركين، ومخاطبة فطرتهم ومشاعرهم وعقولهم وتفكيرهم على لسان نبيّه الكريم محمّدﷺ في : أساليب الحكمة والموعظة الحسنة ، والتّرغيب والتّرهيب وكما يلي:

٢-أسلوب الحكمة والموعظة الحسنة:

الحكمة: معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم، والحكمة: العلم والتفقه، وفي التنزيل: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ﴾[3]، وهي ايضًا: الكلام الذي يقلّ لفظه ويجلّ معناه[4]، والحكمة في حقيقتها: وضع الأشياء في مواضعها ويشمل الأقوال والأفعال وسائر التّصرفات، وهي الحكمة التي ينبغي أن يتصف بها القائم بالدعوة إلى الله ، ومن أجل هذا فهي غالبًا ما تكون قولًا في علم وموعظة ، أو تصرفًا نحو الآخرين من أجل دفعهم إلى الخير ، أو صرفهم

(١) سورة الحج ، الآية : ٤٦.
(٢) ينظر: الأسلوب والأسلوبية وعناصر الأسلوب الأدبي من منظور القرآن الكريم، علي حاجي خاني ، ٨٨- ٨٩.
(٣) سورة لقمان ، الآية : ١٢.
(٤) المعجم الوسيط ، ١٩٠، مادة (حكم).

عن الشّر، فهي اسم جامع لكلّ كلام ، أو علم يراعى فيه إصلاح حال الناس واعتقادهم إصلاحًا مستمرًّا لا يتغيّر[١].

وعلى هذا النهج والوسيلة والهدف حاور الرسول ﷺ المشركين في سورة الأنعام، فمن ذلك قوله تعالى على لسان نبيّه الكريم: ﴿ قُلْ إِنَّما هُوَ إِلهٌ واحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴾[٢].

فالرسول ﷺ يخاطب عقول المشركين بالتدقيق والتمحيص في خلق الإنسان والكون، فلا من خالق سوى الله تعالى لا شريك له في ذلك ((فالله سيحكم بيني وبينكم بدليل القرآن الذي أنزله علي لأهديكم إلى الطريق المستقيم، وإذ كنتم تشركون بعبادة الله، فأنا لا أعبد سواه وأتبرأ مما تعبدون))[٣]، فالرسول ﷺ في خطابه المشركين عمد إلى أسلوب الأمر (قُلْ) على سبيل التنبيه والتوكيد وإعمال العقل، فضلًا على اعتماد أسلوب القصر بـ(إنما) لجعل حكم تفرّد الله بالوحدانية مقصورًا عليه فقط على سبيل الحكمة والموعظة والإرشاد والتنبيه، مع اللّطف واللّين في الحوار، وفي قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللهِ يَأْتِيكُم بِهِ انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ ﴾[٤].

يوجه القرآن افتراضًا للكافرين عسى أن يعودوا عن كفرهم وهو: ماذا لو سلبكم الله نعمة السمع والبصر وحجب قلوبكم عن التمييز بين الحق والباطل؟ فمن يستطيع إعادة تلك النعم لكم سوى الله؟ لكن هؤلاء دائما نشرح لهم الآيات ثم تراهم يعرضون عنها[٥].

فالرسول ﷺ يخاطب المشركين بحكمة العقل والبصيرة والنظرة الواقعية لعبادتهم وآلهتهم التي لا تنفع او تضر، ويدعوهم لمواجهتها، بوساطة الحوار؛ ليعقد مقارنة بين قدرة

(١) ينظر: القاموس المحيط،: مجد الدين الفيروز آبادي ، ٣٨٨، ٣٨٩.
(٢) سورة الانعام ، الآية : ١٩.
(٣) تفسير مختصر الميزان، سليم الحسني ، ١٣٠.
(٤) سورة الانعام ، الآية : ٤٦.
(٥) تفسير مختصر الميزان، سليم الحسني ، ١٣.

الله الواحد الأحد، وما يعبد المشركون من آلهة، فالله وحده القادر على أن يذهب بسمعهم وأبصارهم ، وهو القادر فقط على إعادتها إليهم، وما الأصنام والأوثان سوى جمادات عاجزة ليس لها أي تأثير، أو فعل، فهذه كلها آيات من الله على لسان رسوله ﷺ تدعو بحكمة الى استعمال العقل والإيمان بالله بعيدا عن الإشراك به.

وفي قوله تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُأَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾[1]، يخاطب الرسول ﷺ الكافرين بأسلوب الاستفهام الحقيقي المراد به التصديق، تصديقًا بالجواب بـ(نعم او لا)، باستعمال حرف الاستفهام (هل) الخارج مجازًا وبلاغة لأسلوب النفي، فلا (يستوي الجاهل والعالم ،أو الكافر والمؤمن، فتعلموا الحق أو تؤمنوا به)[2]، وهذا كله خطاب حكمة يدعو إلى إعمال العقل والفطرة الإنسانية المميزة بين الأعمى وبين البصير، دلالة على الجهل والكفر والعلم والإيمان، فخطاب الرسول ﷺ باستعمال حرف الاستفهام (هل) يعود إلى الوظيفة النحوية السياقية لهذا الحرف في كونه (يطلب به التصديق الايجابي دون التصور ودون التصديق السلبي)[3].

وفي قوله تعالى: ﴿لَّو أَنَّ عِندِي مَا تَستَعجِلُونَ بِهِ لَقُضِيَ ٱلأَمرُ بَينِي وَبَينَكُم﴾[4].

فالرسول بأسلوبه الحواري الهادئ الموثوق بالأدلة وبكونه بشرًا وإنسانًا مثل غيره يدفع عن نفسه قدرة إنزال العقاب، وإنّه أمر متروك لله وحده فيقول ((لو أن حسابكم وعقابكم بيدي لانتهى الأمر ولم يعد بيني وبينكم شيء))[5]، ولكن اليه الحساب والعقاب وهو رؤوف حليم بكم رغم شرككم وظلمكم لأنفسكم، فهو يعطيكم الفرصة دائما بإصلاح نفوسكم المريضة، فاستعمال الخطاب القرآني لحرف الشرط (لو) أريد منه دلالة واسلوبًا دفع قدرة الرسول ﷺ على إنزال العذاب والعقاب وإنها شرط بالله تعالى.

(١) سورة الانعام ، الآية : ٥٠.
(٢) تفسير القرآن الكريم، السيد مصطفى الخميني ، ١٨٢.
(٣) أدوات الاستفهام، ٩.
(٤) سورة الانعام ، الآية : ٥٨.
(٥) تفسير مختصر القرآن، سليم الحسني ، ١٣٤ .

فحرف الشرط (لو) في هذه الآية استعمل بوظيفة نحوية ومجازية، من حيث كونه حرف نفي ضمني يدل على امتناع الجواب لامتناع فعل الشرط[1]، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ﴾[2].

فتقدير الآية الكريمة: لم ينقض الأمر فلم يأتِ ما تستعجلون به وتتوالى مواعظ الرسول ﷺ وحكمته البالغة من اجل إرشاد ونصيحة المشركين بدعوتهم إلى تغليب العقل وتحكيمه، فالإيمان بالله الواحد الأحد وإقامة فرائض الطاعة والوحدانية بإقامة الصلاة والتقوى، سالكًا بذلك ﷺ طريق الأدلة العقلية والفطرية للتأثير على مشاعر ونفوس المشركين بأسلوب حجاج ومجادلة لين، هادئ لطيف.

قال تعالى على لسان النبي ﷺ: ﴿قُلْ أَنَدْعُو مِنْ دُونِ اللهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى ائْتِنَا قُلْ إِنَّ هُدَى اللهِ هُوَ الْهُدَى وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٧١﴾ وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَاتَّقُوهُ وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾[3].

فالرسول ﷺ يستعمل أسلوب التنبيه بحرف الاستفهام (همزة الاستفهام) الخارج بلاغة ومجازا للتّعجب[4]، ثمّ يردف على تفعيل العقل بواسطة ضرب الأمثال عن طريق أسلوب التنّبيه برجل استهواه الشيطان فهو حيران في أمره لا يعرف للاطمئنان والرّاحة النفسية سبيلًا، وهو في كلّ ذلك إنّما يريد الدّعوة الخالصة لإطاعة الله في أحكامه وأوامره ونواهيه وفرائضه، ليسلم الإنسان إلى ربّه، ويسلم من عذاب النّار، فأسلوب الاستفهام يعد من أساليب التّعجُب السّماعي فهو يعمّق في معنى الجملة، يحكمها السّماع وتفهم من صياغ الكلام والنّغمة الصّوتيّة.

(١) ينظر: النفي الضمني في اللغة العربية، خولة درويش الشرعة، ٨١.
(٢) سورة البقرة، الآية: ١٠٣.
(٣) سورة الانعام، الآيات: ٧١-٧٢.
(٤) ينظر: اسلوب التعجب في القرآن الكريم، صجين صبيحة، ١٥- ١٦.

٣- أسلوب الترغيب والترهيب:

التّرغيب في اللّغة من: رَغِبَ في الشيء، يرغبُ رَغْبًا ورُغْبًا، ويقال: رغّبَهُ في الشيء ترغيبًا اذا جعله يحرص عليه ويطمع فيه[١].

أمّا الترغيب في الاصطلاح فيعرّف بأنّه: ((كلّ ما يشوّق المدعو إلى الاستجابة وقبول الحق والثبّات عليه))[٢].

والترهيب لغةً من: رَهِبَ يرهبُ رَهْبَةً و رُهْبًا ورَهْبًا، أي: خاف ورهب منه[٣].

والترهيب في الاصطلاح هو: ((كلّ ما يخيف ويحذّر المدعو من عدم الاستجابة ، أو رفض الحق ، أو عدم الثبّات عليه بعد قبوله))[٤].

والمتدبّر لآيات القرآن الكريم يجد أنّ الله (سبحانه وتعالى) قد اتخذ التّرغيب والتّرهيب سبيلًا لتحقيق مبادئها وغاياتها بما يلائم طبيعة النّفس البشريّة التي تحتاج دائمًا الى هاتين الوسيلتين المهمتين، ترغيبًا في الخير والحثّ عليه، وبيان أجر فاعله وجزائه في الدّنيا والآخرة، وترهيبًا من الشرّ وبيان ما يترتّب عليه من العاقبة السيّئة في الدارين، لذلك فإنّ الهدف من رسالات الأنبياء والمرسلين عليهم السلام هو ترغيب النّاس في ما فيه صلاحهم من أعمال البرّ وترهيبهم ممّا فيه هلاكهم من أعمال الفجور، وعلى وفق هذا ارتبط مفهوم الترغيب والترهيب بمفهوم الثواب والعقاب؛ لأنّ ما يؤول إليه التّرغيب هو الثواب، وما يؤول إليه التّرهيب هو العقاب[٥].

وبهذا المعنى في التّرغيب والتّرهيب، حاور الرسول صلى الله عليه وآله وسلم المشركين والكافرين في سورة الأنعام، طمعًا في إصلاح حالهم ونيل الثوّاب والمغفرة والرحمة، أو تخويفًا ممّا هم عليه من الإشراك بالله (سبحانه وتعالى) بما يحتّم عليهم العقوبة الربّانيّة سخطًا وعقابًا في الآخرة،

(١) ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ابو نصر اسماعيل بن حماد الجوهري ، ١ / ١٣٧.
(٢) اصول الدعوة، عبد الكريم زيدان ، ٦٧٠.
(٣)ينظر: كتاب العين، الخليل بن احمد الفراهيدي ، ٤ / ٧٤.
(٤) أصول الدعوة ، ٦٧٠.
(٥)ينظر: الترغيب والترهيب في السياق القرآني، كفاية الله همداني ، ٩٧

فمن الآيات الواردة في سورة الأنعام وحملت في سياقها الترغيب والترهيب على لسان الرسولﷺ قوله تعالى : ﴿ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (١)، فهذه الآية نزلت فيمن أذنب ثمّ تاب، وتدارك نفسه بالإيمان بعد الكفر، وهي في العموم خطاب عامّ لجميع النّاس ومنهم المشركين بصورة خاصّة(٢)، استعمل فيه الرسولﷺ أسلوبًا حواريًّا هادئاً مطمئنًا للنفس الغارقة بالذنوب، لاسيما الكفر والشرك بالله، لذلك نلاحظ هذا الأسلوب الحواري وقد اعتمد كليًا على التوكيد بالحرف المشبه بالفعل(أنَّ) في موضعين، الموضع الأول: في توكيد التوبة وقبولها، من بعد عمل السوء، والموضع الثاني: في توكيد ثبوت مغفرة الله، وفي الحالتين فإنّ أسلوب الترغيب حاضر في دفع الناس عامة ، ولاسيما المشركين لترك الذنوب والمعصية والشرك نحو الإيمان والعمل الصالح.

وفي قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾(٣)، فالرسولﷺ يخاطب ويحاور المشركين بأسلوب التهديد والوعيد ؛ ليبعث الرهبة والخوف في قلوبهم، فيقول لهم: ابقوا على تمكينكم وطريقكم وحالكم ومكاناتكم، واثبتوا على كفركم، فأنني عامل على ما أنا عليه من الإسلام ومغايرتكم في النهاية، فثوابي عاقبة الدار، لأنني آمنت بالله تعالى، وجزاؤكم جهنّم لإشراككم به(٤)، وفي هذا الأسلوب الحواري المشبع بالترهيب قد جعل الرسولﷺ من أسلوب التوكيد المتبوع بالنفي الصريح بـ (لا) النافية غير العاملة الداخلة على الفعل المضارع تحقيقًا قائمًا يوم القيامة مستندًا على مبدأ الثواب والعقاب.

وفي قوله تعالى على لسان رسولهﷺ:﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾(٥).

(١) سورة الأنعام ، الآية : ٥٤.
(٢) تفسير شبرّ ، ١٤٥.
(٣) سورة الأنعام ، الآية : ١٥٣.
(٤) سورة الأنعام ، الآية : ١٦٤.
(٥)سورة الانعام ، الآية : ١٥٣.

استعمل الرسول ﷺ الحوار اللّين اللطيف في نصح المشركين ، وترغيبهم للوحدانية؛ لأنها الصراط المستقيم، ويقابله الترهيب من الفرقة عن هذا الصراط في حال الإشراك.

وفي قوله تعالى: ﴿وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ (١)،

يقول الرسول ﷺ محاورًا المشركين بأسلوب سلس واضح المعنى مؤيدًا بالحجة المقنعة والمجادلة العقلية الثابتة الإيمان: ((وهل اختار ربّاً غير ربي وهو مالك السموات والأرض، وكل نفس تبوء بإثمها يوم القيامة، حيث تعودون إلى الله ليخبركم بأعمالكم ويعاقبكم عليها))(٢)

وعلى وفق هذا الحوار والأسلوب الجدلي والحجاجي يطرح ﷺ مفهوم الترغيب والثواب، والترهيب والعقاب، فكل نفس تحمل أوزارها يوم القيامة، وزر عمل الخير، ووزر عمل الشر، في محاكمة علنية عادلة، فالله المحيط بكل شيء، لا تخفى عليه سرائر النفوس، والأعمال، وستجد كل نفس ما فعلت أمامها حاضرًا لتنال ما استحقت من الثواب والعقاب.

المبحث الثالث

أسلوب الدعوة عن طريق النظر والتأمل في آيات الكون :

دعا القرآن الكريم في آياته الإنسان للتبصر في الكون وتأمله، والتدقيق في الطريقة المنظمة المتوازنة التي خلق بها الله تعالى السموات والأرض وما فيهما من إنسان ، وحيوان وجماد وزرع ونجوم وأفلاك، وكيف جعلها الله تعالى في نظام متوازن هو ﴿صُنْعَ اللهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ (٣)، فالتفكر في خلق الله تعالى من أجلّ أعمال القلوب وأعظمها، وهو مفتاح الهداية، حيث التدبر وأعمال العقل والفكر أمام حقيقة إبداع الخالق، ومعرفة قدرته

(١) سورة الأنعام ، الآية: ١٦٥.
(٢) تفسير مختصر الميزان ، سليم الحسني ، ٥٠٤٥.
(٣) سورة النمل ، الآية : ٨٨.

في إنشاء هذا النظام العجيب ، فلابد للبصيرة مع البصر، وإشغال النفس والعقل في التفكر والتأمل بآيات الله عزّ وجلّ وعجائب صنعه والانتقال معها إلى الإيمان الصحيح، المستند إلى القناعة التامة بوجود خالق واحد للكون يستحق الطاعة والعبادة ، والالتزام بشرائعه وأوامره ونواهيه ﴿لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾[1].

وفي سورة الأنعام، تعددت الآيات الكريمة، والمواضع التي دعا الله فيها الناس عامة والمشركين خاصة للنظر والتأمل والتفكر والتدبر في آيات الكون، وعلى لسان نبيه المصطفى محمدﷺ، فالدعوة إلى الله تعالى تقع في جزء مهم منها إلى إعمال العقل والفكر والبصيرة وصولًا إلى الإيمان بوحدانية الخالق المبدع وعدم الإشراك به اعتمادًا على أساليب مختلفة، منها: أسلوب المجادلة، وأسلوب التدرج، وأسلوب المحاجة العقلية لإثبات التوحيد، وكما يلي:

١ – أسلوب المجادلة:

الجدل لغة: اللّدد في الخصومة والقدرة عليها، وجادله: أي خاصمه مجادلة وجدالًا، والجدل مقابله الحجة بالحجة، والمجادلة: المناظرة والمخاصمة[2].

ومعنى الجدل اصطلاحًا: المفاوضة على سبيل المنازعة والمغالبة بحجة، أو شبهة، والتغلب على الخصم في مقام الاستدلال[3].

ومن ذلك قوله تعالى:﴿وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[4]، والقرآن الكريم في آياته على منهجية الجدال ، أو المجادلة إحقاقًا للحق بوجه المكابرين والمغالطين والمعاندين، ووضع لذلك الأسس والقواعد محاورة وجدالًا، عن طريق البيان ،أو تقويم الحجة الموضوعية والمنطقية، وهذا ما نجده حاضرًا في جدال الأنبياء والمرسلين للكافرين[5]، ومما ورد من

(١) سورة الحاقة ، الآية : ١٢ .
(٢) ينظر: مختار القاموس، الطاهر احمد الزاوي ، ٢٧٥ .
(٣) ينظر: المفردات في غريب القرآن، الراغب الاصفهاني ، ٨٩.
(٤) سورة النحل ، الآية : ١٢٥ .
(٥) منهجية المجادلة في القرآن الكريم، ابكر عبد البستان آدم ، ٧٥.

آيات المجادلة في القرآن الكريم قوله تعالى ردًا على الكافرين: ﴿وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾[1].

فكان رد الرسول ﷺ بأمره تعالى مجادلة لهؤلاء الكافرين: ﴿قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لله كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[2].

وقوله تعالى على لسان نبيه الكريم ﷺ: ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ﴾[3].

فالقرآن الكريم يخاطب المشركين ويجادلهم بأسلوب رائع لطيف، إذ دار الكلام حول التوحيد وعبادة الله الأحد ، والمعاد بطريقة السؤال والجواب، والسائل والمجيب، فكلاهما واحد، وهو من الأساليب الأدبية الجميلة، فالاستدلال كان في مقدمتين: الأولى (قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ)، ثم يأمر الرسول ﷺ بالإجابة بلسان فطرتهم وروحهم(قل لله)، فبموجب هذا الاستدلال والجواب يكون كل عالم الوجود ملكًا لله وبيده وتدبيره، والثانية: إنّ الله وحده مصدر كل رحمة وهو الذي أوجب على نفسه الرحمة ، ويفيض بنعمه على الجميع(كتب على نفسه الرحمة) ، فالآيات باستفهامها التقريري تريد انتزاع الإقرار من السامع والاعتراف فطرةً ، بأنّ مالك عالم الوجود الله(قل لله) وهذا أسلوب جميل في عرض مختلف المسائل[4].

ومما ورد من آيات المجادلة والحوار في سورة الأنعام، مخاطبة الرسول ﷺ للكافرين في قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللهِ آلِهَةً أُخْرَى قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ

(١) سورة الانعام ، الآية : ١٠.
(٢) سورة الانعام ، الآية : ١٢.
(٣) سورة الانعام ، الآية : ١٤.
(٤) ينظر: التفسير الأمثل في كتاب الله المنزّل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي ، ٤ / ٢٥-٢٩.

وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾ [١]، فالخطاب والحوار وما فيه من جدال يشير إلى أنّ الهدف من نزول القرآن الكريم إنذار الناس وتحذيرهم من عواقب العصيان، فهو خطاب موجه هنا إلى أفراد معاندين مصرين على المكابرة، فكان الجواب على عنادهم بأسلوب وعبارة أوجز واشمل، وهو من الدقة والسعة يزيل كل إبهام في الدعوة إلى توحيد الله في كل زمان ومكان[٢].

ومن صور الجدال في سورة الأنعام قوله تعالى: ﴿ حَتَّى إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ [٣]، فالكافرون عنادًا وتقليدًا بلغ بهم يا محمد أن يجادلونك فيجعلون أصدق الحديث خرافات الأولين[٤]، فعناد المشركين وإصرارهم على المجادلة والانحراف ، إنّما هو تعصّب جاهلي أعمى بمصالح المادية والأهواء واقعة تحت أستار الحواجز التي تصم آذانهم عن الحقيقة وإدراك الأمور الصحيحة، وهو نوع من أنواع العقاب الذي يناله المصرون على العصيان ومعاداة الحق[٥]،

ونلاحظ هنا وعلى وفق هذا العناد والإصرار على الكفر، اقتران الخطاب والجدال بأسلوب الاستثناء المفرغ المراد منه الحصر والتوكيد في قوله تعالى على لسان الكافرين (إنْ هذا إلا أساطير الأولين) ، وفي هذا الكلام إصرار كبير من المشركين على اتهام القرآن الكريم وهو دعوة الحق بالكذب والخرافة.

٢- أسلوب التدرج:

التدرج لغة من: ((درجَهُ: جعله درجات، والبناء جُعِلَ له درجًا، وأدناه منه قليلًا قليلًا))[٦] ، أما اصطلاحًا فإنّ تَدرَّجَ: ((مُطَاوع دَرَجه وإليه تقدم شيئًا فشيئًا، وفيه

(١) سورة الانعام ، الآية : ١٩.
(٢) ينظر: الامثل في تفسير الكتاب المنزل، مكارم الشيرازي ، ٤ / ٣٦.
(٣) سورة الانعام ، الآية : ٢٥.
(٤) ينظر: تفسير شبر ، ١٣٠.
(٥) ينظر: الامثل في تفسير الكتاب المنزل، مكارم الشيرازي ، ٤ / ٤٢-٤٣.
(٦) المعجم الوسيط، مادة(درج) ، ٢٧٧.

تصعددرجةً درجةً))[1].

والتدرج في القرآن الكريم هو احد الأساليب التي اتخذها (سبحانه وتعالى) سبيلًا إلى دعوة المشركيّن وإدخالهم إلى حضرة الإسلام، والإيمان بالله وربوبيته المطلقة، وإذا كان التدرج قد أخذ حيزًا في التشريع القرآني للأحكام والأوامر والنّواهي، وفي خلق السمّاوات والأرض وخلق الإنسان باعتبار التدرج في الأمور من سنن الله تعالى، ودليلًا على التحّول والتّدرج من حال إلى حال بقدرة الخالق، فإنّ التدرج في دعوة الكافرين إلى الإيمان ونبذ الشّرك كان من أولويات التبليغ الرّسالي لما له من أثرٍ في تهيئة نفوس وعقول المشركين الى التوّحيد[2].

وتعّددت في سورة الأنعام صور وأشكال التدرّج، فهناك التدرّج في الخلق والتكّوين، والعذاب والتّحول من أحوال الدّنيا إلى الآخرة والتدرّج في النصر والغلبة، والدعوة الى الله تعالى والإيمان بوحدانيته، فمن صور التدرج في الخلق قوله تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ ﴾[3]، فالله تعالى يخاطب المشركين المشككين بقدرته ان انظروا إلى أصلكم وكيف خلقتكم من طين ، أو تراب حتى يحين أجل الموت ومن بعده أجل النشر والبعث[4]، فالتدرج بالتذكير بخلق الإنسان وتحوله بقدرة الله من طين أو تراب الى إنسان كامل القوام والصفات ثم الموت فالبعث والنشور، إنّما هو أسلوب عقلي إقناعي يناغم فطرة الإنسان وحقيقته بكونه ترابًا ويصير الى التراب.

ومن صور التدرج التي تناولتها سورة الانعام، التدرج في العذاب، قال تعالى: ﴿ وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾[5]، وقوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا

(١) المعجم الوسيط، ٢٧٧.
(٢) ينظر: اساليب الإقناع في القرآن الكريم، عبد الكريم محمد العلي ، ١٧٣.
(٣) سورة الأنعام ، الآية : ٢.
(٤) التفسير المبين ، ١٦٢.
(٥) سورة الأنعام ، الآية : ٣٠.

فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ ﴾ [1]، فالله تعالى يصور حال المشركين وما هم فيه من لهو وانشغال في الحياة الدنيا، بعيدين عن ذكر الله وتوحيده، فرحين بشركهم وعبادتهم للأوثان حتى يأتيهم الموت فيتحولوا إلى الدار الآخرة فإذا هم مبلسون، خائفون، يذوقون الذل والهوان والعذاب.

وفي قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللهِ ﴾ [2]، تعرج سورة الأنعام على ذكر التدرج في نصر النبيﷺ كما نصر الله الأنبياء من قبله، فنصرة الرسلﷺ سنة ربانية لا محيد عنها، وهي اختبار وامتحان لقدرة الصبر ، والتحمل والصبر على الأذى والتكذيب حتى يأتي نصر الله وتتغير أحوالهم، فالتدرج في النصر هنا نوع من التثبيت الرباني على قلب الرسول محمدﷺ ودفعه للصبر والتحمل [3].

وقد حفلت سورة الأنعام بأساليب التدرج والتحول من الحياة الدنيا إلى الآخرة كنوع من الوعيد والترهيب ، والإنذار بالعقوبة ودفعًا بالمشركين نحو الإيمان ، أو إثابة للمؤمنين بتذكيرهم بالحياة الآخرة وما فيها من نعيم، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [4].

أمّا موضوعة التدرج في الدعوة للإيمان ومخاطبة المشركين فقد أخذت حيزًا من سورة الأنعام، بأسلوب وعظي هادئ يشتمل على التحفيز بالدعوة للتوحيد، والتنبيه على عقوبة الإشراك والمعصية فمصيرها العقوبة والعذاب الشديد ، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴾ [5]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ

(١) سورة الأنعام ، الآية : ٤٤.
(٢) سورة الأنعام ، الآية : ٣٤.
(٣) ينظر: أساليب الإقناع في القرآن الكريم ، ١٨٠.
(٤) سورة الأنعام ، الآية : ٢٤
(٥) سورة الأنعام ، الآية : ٤١

يَحْزَنُونَ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[2].

فنلاحظ في هذه الآيات الكريمات أنّ الله تعالى جعل من التدرج في الدعوة على لسان نبيه ﷺ مجالًا للرحمة والرأفة بعيدًا عن صور الترهيب والعذاب، وهو في هذا كله إنّما يجعل الأبواب واسعة مشرعة نحو التوبة والإيمان به[3].

٣- أسلوب المحاجة العقلية لإثبات التوحيد:

المحاجة لغة من: حاجَهُ مُحَاجَّةً وحجاجاً: أي جادله[4]، وفي التنزيل: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ ﴾[5].

واصطلاحًا، فإنّ المحاجة: الجدال والدليل والبرهان[6]، وهو المفاوضة على سبيل المنازعة والمغالبة لإلزام الخصم، وهو أسلوب محاورة وتخاطب واستدلال واحتجاج، ولا شك أنّ القرآن الكريم بجميع دلائله ، وآياته التي توجه بها نحو الإنسان وغيره بقصد البيان ، يندرج تحت هذا التوظيف لمصطلح المحاجة والحجاج فهو ((حجة الله البالغة)) مقابل محاجة المعاندين ، والجاحدين[7].

وسورة الأنعام واحدة من السور القرآنية التي استندت إلى مفهوم المحاجة ، والحجاج في مواجهة المشركين وجحودهم وعنادهم، ومجادلتهم بالأدلة العقلية وغيرها في سبيل إرشادهم إلى الطريق القويم بالإيمان بالله والإقرار بوحدانيته.

(١) سورة الأنعام ، الآية : ٤٨
(٢) ينظر: المعجم الوسيط، مادة (حجَّ) ، ١٥٦.
(٣) سورة البقرة ، الآية : ٢٥٨.
(٤) ينظر: المعجم الوسيط، مادة (حجَّ) ، ١٥٧.
(٥) ينظر: مفهوم الحجاج في القرآن الكريم، مهابة محفوظ مياره ، ٥٠٩ و ٥١٣.
(٦) سورة الأنعام ، الآية : ٩٦.
(٧) الميزان في تفسير القرآن، العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي ، ٧ / ٢٩٧.

فمن تلك الآيات قوله تعالى: ﴿ فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾[1]، ففي ((فلق الصبح وجعل الليل سكنًا يسكن فيه المتحركات عن حركتها لتجديد القوى ودفع ما عرض لها من التعب والعي والكلال من جهة حركتها طول النهار، وجعل الشمس والقمر بما يظهر من الليل والنهار والشهور والسنين من حركاتهما في ظاهر الحس حسبانًا ، تقدير عجيب للحركات في هذه النشأة المتغيرة المتحولة، ينتظم بذلك نظام المعاش الإنساني ويستقيم به أمر حياته ؛ ولذلك ذيلها بقوله(ذلك تقدير العزيز العليم) فهو العزيز الذي لا يقهره قاهر فيفسد عليه شيئاً من تدبيره))[2].

فالله سبحانه وتعالى يدعو المشركين إلى النظر والتأمل في أحوال حياتهم ، ومعيشتهم التي ارتبطت بنظام فلكي صارم دقيق الحساب، ما بين النهار وحركة الإنسان فيه طلبًا للمعيشة والتنقل والعمل، وبين الليل الذي تسكن فيه النفوس، وتقلبات الفصول وما يحـــدث فيها من تنوع الحياة ومساعي العيش فيها، فالكلام الحواري المعتمد على أسلوب الحقائق العلمية والدعوة للعقل في تبصّر آيات الكون له تأثير كبير في الدعوة للإيمان بالوحدانية.

وفي قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾، فالله جلّ وعلا يدعو الإنسان إلى التبصّر والنظر بتدبير خلقه الذي جعل منه فائدة ونفعًا له، فجعل من خلقه للنجوم وظيفة للاهتداء، ودليلًا للحائرين التائهين في الظلمات، وفي هذا كله رحمة منه للبشر، فظلمات الليل تداخلت مع الملابسة بالحيرة التي تصيب الإنسان، فكلاهما تيه وضياع، ولا هداية معهما إلا بالتبصر بالكون والنجوم والأفلاك، حيث جعلها الله تفصيلاً لكل من يروم النجاة بأسلوب عقلي يدعو للتدبر[3].

(١) سورة الأنعام ، الآية : ٩٧.
(٢)تفسير الميزان: العلامة الطباطبائي ، ٧/ ٢٨٧.
(٣) ينظر: تفسير القرآن الكريم، السيد عبد الله شبر ، ١٤٠.

ومن آيات النظر والتأمل قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾ [1]، فالله تعالى يخاطب العقل الإنساني، بأنّ خلق الإنسان من نفس واحدة، متساوية في الحقوق والواجبات والتكوين الجسدي، فالنفس عند الله ((لم تلد عبدًا ولا أمةً، بل الحياة الاجتماعية هي التي أولدت العبيد))[2]، والله كذلك ((قسم الإيمان إلى مستقر راسخ حتى الموت، ولا يكون هذا إلّا في قلب من تتفق أقواله مع أفعاله))[3]، وفي هذا كله دعوة من الخالق العظيم لينظـر البشر فيما هم فيه من نعمة الحرية التي جعلهم الله عليها، فواحدية الخلق الرباني للإنسان، دلالة على طلب التأمل والنظر بأسلوب علمي واجتماعي لوظيفة الإنسان ككائن اجتماعي حر، وإنّ العبودية الحقيقية لله سبحانه وتعالى وحده، وليس لغيره من بشر متجبر، أو جماد يعبد، فالمستقر الحقيقي عند الله، وهو المعبود الحسيب الرقيب على الأفعال وبيده فقط الثواب والعقاب ، وفي قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [4].

تبيّن هذه الآية الكريمة ((نعمًا أخرى من نعم الله العظيمة وهي إنزال الأمطار من السماء لتروي الأرض فتخرج الأرض ثمارها وفواكهها المشكلة، كما تخرج الأرض شجر النخل الذي تتشقق منه خيوط رفيعة لحمل حبات التمر، فتتدلى من ثقلها، وبساتين فيها أنواع كثيرة من الثمار والفواكة كالزيتون والرمان، وهذه الأشجار بعضها يشبه بعضًا، فانظروا أيها البشر إلى عزة الخالق وإلى الشجر حين ينضج ثمرها، كل ذلك دلائل واضحة على قدرة الله وعطفه على المؤمنين))[5]، فالخطاب القرآني يدعو إلى النظر والتأمل بأسلوب عقلي

(١) سورة الأنعام ، الآية : ٩٨.
(٢) التفسير المبين، محمد جواد مغنية ، ١٧٩.
(٣) المصدر نفسه ، ١٧٩.
(٤) سورة الأنعام ، الآية : ٩٩.
(٥) التفسير المبين، محمد جواد مغنية ، ١٧٩.

يعتمد التفكر في الأسباب والمسببات، فـ ((لولا الماء العذب لكانت الأرض صحراء جرداء ولم يكن للحياة عليها من أثر، واسند سبحانه إليه مسبب الأسباب، من قدرته تبتدئ وإلى إرادته تنتهي... وخصّ سبحانه وتعالى هذه الأصناف الثلاثة بالذكر لشيوعها... والمعنى انظروا بعيونكم، وفكروا بعقولكم في صنع الله ومخلوقاته، ولا تمروا بها مرور البهائم والسوائم، ... لكي تؤمنوا بالله وحكمته من حس وعقل لا عن تقليد أعمى، وايضًا كي تقيم الحجة على كل جاحد ومعاند))[1].

الخاتمة

خلق الله سبحانه وتعالى هذا الكون الهائل الممتد ما بين السموات والأرض ، وموجوداتها بنظام دقيق متوازن لا يصيبه الباطل والانحراف من بين يديه ولا من خلفه، داعيًا الإنسان، لاسيما المشركين منهم إلى النظر فيه والتدقيق في آياته، فاستعمل بذلك الخطاب اللطيف واللّين، ودعا إلى إعمال العقل والبصر والبصيرة، وجادلهم وحاججهم في سبيل ردعهم عن كفرهم وإشراكهم من اجل خاتمة سعيدة بعيدًا عن النار وأهوال يوم القيامة ، وسورة الأنعام التي كانت مدار البحث ، واحدة من السور القرآنية التي اتخذت من هذه كلها موضوعة لها، فيها أفاض الله من نعمه، ما ظهر منها وما بطن سالكاً فيها كل الطرق والأدلة من أجل دفع المشركين للإيمان، فوصف أحوالهم وما يلاقوه يوم القيامة من أهوال وأصناف العذاب، داعيًا إياهم وبكل الوسائل والسبل إلى نبذ العناد والإصرار على الكفر، والتوجه إلى عبادة الواحد الأحد الذي أفاضت نعمته على كل شيء، وأحاطت بكل شيء إكراما للإنسان وآدميته، وصولًا به إلى أعلى مراتب الآخرة في جنّة الله العالية.

(١) المصدر نفسه ، ١٧٩.

المصادر و المراجع

١. أساليب الإقناع في القران الكريم، عبد الكريم محمد العلي، دار الشروق للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، بيروت، ٢٠٠٧م.

٢. اسباب النزول هذه في كتاب اسباب نزول القرآن، لأبي الحسن علي بن احمد الواحدي، ت(٤٦٨هـ): السيد احمد صقر، دار الكتاب الجديد، ط١، بيروت، ١٩٦٩م.

٣. آيات العقيدة في سورة الانعام، دراسة بلاغية تحليلية، مريم بنت سليمان العبيد: ناصر عبد الرحمن الخنين، منشورات جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية، المملكة العربية السعودية، ٢٠٠٣م.

٤. الترغيب والترهيب في السياق القرآني، كفاية الله همداني، مجلة القسم العربي، جامعة بنجاب، لاهور، العدد الثاني والعشرون، ٢٠١٥م.

٥. التفسير الامثل في كتاب الله المنزّل، ناصر مكارم الشيرازي، مطبعة سليمان زادة، قم المقدسة، ط١، ١٣٨٤هـ.

٦. تفسير القرآن العظيم، الحافظ أبو الفداء ابن كثير القرشي الدمشقي ت(٧٧٤)، دار ابن حزم، ط١، بيروت، ٢٠٠٠م.

٧. تفسير القرآن الكريم، العلامة المحقق السيد عبد الله شبر، دار احياء التراث العربي، بيروت، (د.ت).

٨. التفسير المبين، محمد جواد مغنية، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، ط٢، بيروت، ١٩٨٣م.

٩. التفسير المعين للواعظين والمتعظين، محمد هويدي، الناشر: نسل انديشة، قم المقدسة، ١٣٨٨هـ.

١٠. تفسير شبر ، المعطر بولاية علي ابن أبي طالب(ع)، السيد عبد الله شبر، دار الأميرة للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، بيروت، ٢٠١١م.

١١. تفسير مختصر الميزان، السيد علي عاشور العاملي، منشورات الفجر، ط١، بيروت، ٢٠١١م.

١٢. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تفسير الطبري ت(٣١٠هـ)، تحقيق: بشار عواد معروف، عصام فارس الحرساني، مؤسسة الرسالة، ط١، بيروت، ١٩٩٤م.

١٣. الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية، ابو نصر اسماعيل بن حماد الفارابي الجوهري، ت(٣٩٣هـ): احمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، ط٤، بيروت، ١٩٩٠م.

١٤. لسان العرب ابن منظور ت(٧١١هـ) اعتنى بتصحيحه: أمين محمد عبد الوهاب ومحمد الصادق العبيدي ط١ دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م.

١٥. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تفسير ابن عطية الأندلسي، ابو محمد عبد الحق بن عطية الاندلسي ت(٥٤١هـ)، مطبوعات وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية، قطر، ٢٠٠٧م.

١٦. مختار القاموس، الطاهر احمد الزاوي، دار الكتب العربية، ط١، القاهرة، ١٩٨٩م.

١٧. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ط٤، ٢٠٠٨م.

١٨. المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني ت (٥٠٢هـ)، مطبعة مصطفى البابي، ط٢، القاهرة، ١٩٦١م.

١٩. مفهوم الحجاج في القرآن الكريم، مهابة محفوظ مياره، مجلة المجمع العلمي بدمشق، المجلد(٨١) الجزء ٣.

٢٠. منهجية المجادلة في القرآن الكريم، ابكر عبد البستان ادم، مجلة الشريعة والقانون والدراسات الاسلامية، العدد(٢٤) ٢٠١٤م.

٢١. الميزان في تفسير القرآن، العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي، منشورات مؤسسة الاعلى، ط١، بيروت، ١٩٩٧م.

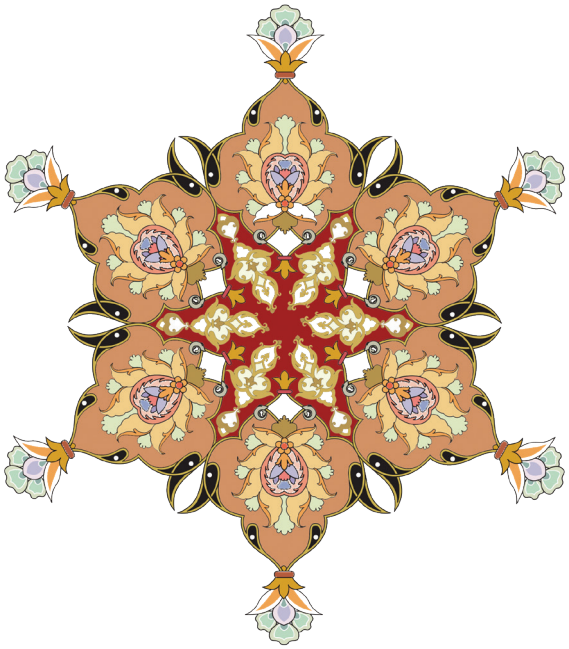

بسم الله الرحمن الرحيم
انه من سليمان وانه